النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

ج . م . ع .

لمراسل الاداب الخاص : سليمان فياض

احتفال متواضع .. في ذكرى فنان كبير

قبل عام ، وفي اليوم الرابع والعشرين ، من شهر « تشرين اول » (اكتوبر) ١٩٧٨ ، ودع الحياة الثقافية في مصر فنان كبير ، هو الاديب والشاعر والممثل والمخرج « نجيب سرور » .

وفي الذكرى الاولى لرحيل نجيب ، لم تحتفل بذكراه جهة ثقافية في مصر ، لا الصحافة ، ولا الاذاعة ، ولا التليفزيون ، ولا مجلة من المجلات الثقافية الرسمية ، التي كان نجيب ينشر فيها مقالاته واشعاره ، ولا اية جهة مسرحية او نقابة فنية . فقط ، احتفل بذكراه أصدقاؤه وتلاميذه ، الذين كانوا يجالسونه في مقهى ريش . ولم يزد عدد المحتفلين بذكرى نجيب عن ثلاثين فردا ، أكثرهم من الكهول والشباب الذين يقدرون حياة نجيب كانسان ، وكفاحه كفنان .

كان احتفالا متواضعا وقصيرا ، في قاعة متواضعة وصغيرة بنادي الاتيليه ، بالقاهرة ، ولم تكن ثمة امكانيات تذكر ، تعاون في الاحتفال بالذكرى الاولى لنجيب سرور ، تمثل هذا الاحتفال في برنامج قصير مشحون بالعواطف والحب . القى ثلاثة من الشعراء ، ثلاث قصائد تحية لنجيب ولذكراه ، وكان هؤلاء الشعراء هم : احمد الحوتي ، (وتنشر الاداب قصيدته في هذا العدد) ، وعصام الغازي . و . .

وقامت مجموعة من الشباب الجامعي ، الذين أسسوا « فرقة الفن الشعبي » بتقديم عرض درامي ، يضم مشاهد ممنتجة ، من أعمال نجيب سرور المسرحية ، تشدها الى بعضها البعض مقتطفات من أشعار نجيب . وبدأوها بندب شعري كالتعديد ، مستمد من الاغاني الفولكلورية في صعيد مصر . تلك الاغاني التي كثيرا ما استعان نجيب بتعابيرها وصورها في شعره . وكانت البداية مؤثرة . والعرض مؤثرا . وجاء ختام هذه المشاهد اغنية جماعية من شعر نجيب ، اغنية يقول نجيب في ختامها :

فاذا كان عذاب الموتى اصبح سلعة
فعلى الارض اللعنة .
والطوفان قريب
الطوفان قريب !!

في شهر يونيو « حزيران » سنة ١٩٣٢ ، ولد الشاعر الفنان نجيب سرور ، في قرية « اخطاب » من قرى محافظة الدقهلية ، وهي احدى القرى التي كانت مراكز اقامة وقصور للاقطاعيين . وكانت مثل نظيرتها من قرى الاقطاع خاضعة بشرا وارضا لاقطاعي امي ، لا يعرف القراءة ولا الكتابة . وحتى الذين كانوا يملكون في هذه القرية بضعة قراريط ، كانوا يعملون في ارض هذا الاقطاعي ، ويدينون له بالسمع والطاعة ، شأنهم في هذا شأن الاجراء والموظفين العاملين في دائرة اقطاعية ، وشأن موظفي الدولة في هذه القرية ، الذين يأتمرون بامره ، رضوا ذلك ام كرهوه ، وكان والد نجيب واحدا من هؤلاء الموظفين ، يعمل صرافا يجبي الايراد من الاقطاعي ومن الفلاحين ليورده للخزانة العامة . ولنجيب مع هذا الاقطاعي قصة لا تنسى :

لا يعرف أحد كيف حدث ذلك . فقد تصدى نجيب هو وزملاؤه في الجامعة ، وفي المدارس الثانوية البعيدة ، في اجازة صيف ما ، لهذا الاقطاعي ، واقتحم نجيب بهم قصر الاقطاعي ، « الاتربي باشا » وراحوا يدمرونه من داخله ، دون ان يمسوا احدا من اهله بسوء . وجاء الرد من رجال هذا الاقطاعي مع افطار اول يوم من ايام رمضان . فقد توزع رجال في بيوت أسر هؤلاء الطلاب ، ومن بينهم نجيب ، وضربوا بالسياط رجال هذه الاسر وشبابها ، ضربا مبرحا ، ترك آثاره على مر السنين في أجسادهم ، وترك مع هذه الاثار ، شرخا في روح نجيب ، ظل يعاني منه بقية عمره . وطرد ابوه من عمله ، فهجر بالاسرة قريته الى القاهرة ، وعمل مدرسا بمدرسة ابتدائية . بينما كان نجيب يواصل دراسته الجامعية في كلية الحقوق ، وفي الوقت نفسه ، في معهد التمثيل (معهد الفنون المسرحية) . وعندما تعارض الامتحان النهائي بين الكلية والمعهد في وقت واحد ، ضحى نجيب بامتحان بكالوريوس كلية الحقوق ، ونجح بتفوق في معهد التمثيل ، ولم يستأنف في العام التالي دراسته في الحقوق ، وهجرها الى الابد .

وارسل نجيب في بعثة دراسية الى موسكو عام ١٩٥٨ . وهي اول بعثة دراسة مصرية يرسل اعضاؤها الى الاتحاد السوفييتي ، لدراسة فن المسرح اخراجا وتمثيلا وتأليفا . واثر اتمامه لهذه الدراسة ، تخلف عن العردة الى مصر ، وبقي بضع سنوات في الاتحاد السوفييتي . عمل اثناءها بالقسم العربي في اذاعة موسكو ،

وتزوج من سيدة روسية ، وانجب منها هناك ، ابنه الاول ، وأسماه « شهدي » على اسم « شهدي عطية » الذي استشهد في السجن في تلك الفترة ، في مصر . ثم قرر نجيب أن يعود الى مصر ، وبقي في بودابست قرابة عام يستأذن السلطات لتسمح له بالعودة الى بلاده، واخيرا عاد نجيب الى مصر ، في عام ١٩٦٤ .

منذ ذلك الحين ، اشتغل نجيب بنشاط جم في الحركة المسرحية في مصر ، وكانت هذه السنوات هي سنوات الازدهار في تاريخ المسرح المصري . شارك في الحياة المسرحية بمسرحياته المؤلفة، وتمثيله، واخراجه. فكان مؤلفا مرموقا بين مؤلفي المسرح المعدودين ، ومخرجا لامعا بين مخرجيه البارزين ، وممثلا قديرا بين ممثلي المسرح الكبار .

وكانت مسرحيات نجيب الشعرية ، هي : ثلاثية مسرحية شعرية . مسرحية « ياسين وبهية » ، وقد كتبها نجيب عام ١٩٦٤ ، وهو ينتظر الاذن بالعودة في بودابست . وقدمت هذه المسرحية على خشبة مسرح الجيب في القاهرة عام ١٩٦٥ ، وأخرجها كرم مطاوع ، ونشرت طبعتها الاولى في القاهرة عام ١٩٦٧ ، وطبعتها الثانية عام ١٩٧٩. ومسرحية « آه يا ليل يا قمر » وقدمت على مسرح الحكيم عام ١٩٦٧ ، وصدرت طبعتها الاولى عام ١٩٦٨ (ستصدر الطبعة الثانية في يناير ١٩٨٠ عن دار مدبولي للنشر) . ومسرحية « قولوا لعين الشمس » ، وقدمت على خشبة المسرح القومي بالقاهرة عام ١٩٧٣ ، وكان نجيب قد شرع في اخراجها لكن ظروف مرضه حالت دون ذلك ، فأكمل اخراجها «توفيق عبد اللطيف » ، وصدرت طبعتها عقب وفاته ، في الصيف الاخير ، عام ١٩٧٩ . ومن مسرحيات نجيب الشعرية : « منين أجيب ناس » ، وقد استلهمها نجيب من القصة المأساوية الشعبية « حسن ونعيمة » ولم تقدم هذه المسرحية على المسرح حتى الان . وقد صدرت الطبعة من هذه المسرحية عن دار الثقافة الجديدة بالقاهرة عام ١٩٧٦ .

ولنجيب سرور مسرحيات نثرية، من بينها مسرحية « الحكم قبل المداولة » ، ولم تنشر هذه المسرحية بعد، ولم تقدم على المسرح ، وقد كتبها نجيب في اوائل سنوات السبعينات ، وقدمها للجنة القراءة بالمسرح القومي ، فلم تبت فيها ، ولم تعدها الى نجيب . ولا توجد لدى اسرة نجيب نسخة غير هذه النسخة التي قدمت الى لجنة القراءة بالمسرح القومي ، وما تزال أسرته واصدقاؤه يبحثون عنها في دهاليز المسرح القومي، ومتاهاته البيروقراطية . ومسرحية « الكلمات المتقاطعة» ولم تنشر بعد ، لكنها قدمت على خشبة المسرح ، بعد رحيل نجيب ، في صيف عام ١٩٧٩ ، وقدمتها احدى الفرق الجامعية في مسابقة كأس الجامعات للتمثيل المسرحي ، ونالت هذه المسرحية الجائزة الاولى وهي من اخراج « شاكر عبد اللطيف » . ومسرحية « الذباب الازرق » ، وموضوعها هو : المأساة الفلسطينية عقب مذبحة ايلول الاسود . ولم تنشر بعد ، كما انها لم تقدم على خشبة المسرح . فقد جاء ميلادها مع بداية الهبوط للمسرح المصري ، ومع تغير السياسة الثقافية، بعد رحيل جمال عبد الناصر .

ومنذ عام ١٩٥٤ ، ونجيب سرور ينشر اشعاره الفصيحة اللغة ، على صفحات مجلة الآداب . ونشر نجيب اشعاره هذه في ديوانه الاول « التراجيديا الانسانية » حوالي عام ١٩٦٧ . فقد شهدت الآداب ميلاد هذا الشاعر ونضجه على صفحاتها ، في وقت احتجبت فيها المجلات الادبية ، او اغلقت ، وكانت الاداب في ذلك الحين ، وما تزال ، ساحة خصيبة ، لهؤلاء المهاجرين باقلامهم ، برؤاهم واشعارهم وقصصهم ، بعيدا عن القيود والشروط . وفي عام ١٩٧٥ نشر الشاعر نجيب ديوانه الثاني « لزوم ما يلزم » ، اصدرته له دار الشعب بالقاهرة . وعنوان الديوان ، العنوان فقط ، معارضة لأشعار أبي العلاء المعري ، في ديوانه «لزوم ما لا يلزم ». ويضم هذا الديوان محاورات شعرية بين الشاعر وبين ابي العلاء . ونشر الشاعر ديوانه الثالث : « بروتوكولات حكماء ريش » عام ١٩٧٦ نشرته له دار مدبولي للنشر بالقاهرة . وكانت قصائد هذا الديوان قد نشرت تباعا في مجلة « الكاتب » التي تصدر في القاهرة ، بعد ان رفع احمد عباس صالح يده عنها ، وهاجر الى العراق. ولنجيب ديوان رابع نشره مدبولي ايضا، في سنة١٩٧٧. وهذا الديوان بعنوان : « رباعيات نجيب سرور » ، وهي رباعيات يعارض بها في النسق فقط رباعيات الخيام، لكن تجاربها ورؤاها تعبر فقط عن عالم نجيب الشعري الخاص . ولنجيب سرور مجموعتان شعريتان هما: « فارس آخر زمن » ، و « الطوفان الثاني » ، وسوف تصدر هاتان المجموعتان قريبا في القاهرة .

ولم تتوقف جهود نجيب مع الكلمة الادبيةالشريفة، عند حدود الابداع الشعري والمسرحي ، فقد كتب معها، وجنبا الى جنب ، وبخاصة في سنوات السبعينات ، السنوات العشر الاخيرة من عمره بالتحديد ، اعمالا نقدية ، ضمها في كتب ثلاثة . هي : « حوار في المسرح» وقد نشرته دار الانجلو بالقاهرة في أواخر سنوات الستينات . و « هموم الفن والادب » ولم ينشر بعد هذا الكتاب ، وان نشرت فصوله ، فيمقالات متناثرةبالمجلات الادبية . و« هكذا تحدث جحا » وهو مقالات قصيرة لاذعة ، حول الحياة الثقافية في مصر ، في السنوات الاخيرة ، وهذه المقالات عن المسرح والاذاعة والاغاني والتليفزيون . ولم ينشر هذا الكتاب بعد .

هذه هي خطوط البانوراما العامة في حياة نجيب

سرور الكاتب المسرحي ، والشاعر ، والفنان . وفي قلب هذه البانوراما كانت حياة درامية متوترة لنجيب سرور الانسان . لقد كان نجيب واحدا من الجيل الذي تكون ثقافيا في سنوات الخمسينات في الجامعة، وفي المكتبات وعلى مقاهي الادب ، وفي جمعيات الفن والادب القليلة المتناثرة في وسط القاهرة . وكان نجيب واثقا ابدا من نفسه ، ممتلىء اليقين بذاته ، وشاعريته ، ومواهبه المتعددة كفنان .

كان كما عرفته ذكيا ، المعي الذكاء ، منفصلا بشخصه عن الاخرين ، وان كان يلتقي بهم ، وحريصا دائما على هذا اللقاء ، لكنه متصل بهم في ذات اللحظة أشد الاتصال بفكره ، وغايته من الابداع ، ومن النقد معا . كان ماكرا حقا ، وحذرا للغاية ، لكن مكره كان مكر الحذر ، الذي لا يقدم ذقنه لاحد ، ولا يفرط فيما يعده شرفا خلقيا ، وهدفا اجتماعيا ، او سياسيا، او ثقافيا نبيلا. فدائما كان نجيب بروحه وعقله،وعواطفه وفكره ، مع الجموع ، ومع الحق، ومع العدل الاجتماعي، مع كل ما هو قضية نبيلة لابناء شعبه العاملين الكادحين، والمطحونين . معهم بمسرحه وشعره ونقده ، وترنيماته الساخرة في مجالس السأم . وكان من الصعب احتواؤه، او المحافظة عليه ، فله من صفات الثوري نبله ، ومن صفات المتمرد صدقه . ولذلك عانى نجيب الامرين في حياته كانسان . تقدم الفنيون المداهنون ، وبقي هو ، جنوا المكاسب ، وخسرها هو . فقد قبلوا القيام باعمال تافهة واداء أدوار في الحياة الاجتماعية والفنية رخيصة، واباها نجيب لنفسه ، فنجيب كان حريصا على ان يفعل ما يريد هو ان يفعله ، وما يراه جديرا بان يفعل ، جديرا بنفسه وبالفعل نفسه . ووجد نجيب نفسه بين شقي رحى : المطامع ، والحرمان . فأثر الحرمان من الموائد الاجتماعية الحافلة ، التي يجلس اليها عادة المداهنون والمنافقون وجلس الى منضدة رخامية متواضعة ، تحملها قوائم من حديد ، في مقهى ريش ، يفرغ أشواقه وأتواقه، وآلامه واحزانه ، مع بنات الحان . هل ضعفت ارادة نجيب حقا ، كما اتهمه بذلك يوما ، احد اصدقائه القدامى ، ووجه اليه الاتهام في مقال تأبينه على صفحات « الدوحة » ؟ لا ، والف لا . فمن يختر الصدق ،والنبل، والحرمان ، لا يمكن ان يكون ضعيف الارادة ، فلقد اختار ، واختار اقسى اختيار ، أنبله ، واصدقه، واكثره عفة وشرفا . وهو اختيار لا يقدر عليه الا من اختار ان يكون مع المطحونين اولا ، من اختار ان يعيش ذكرى طيبة في نفوس الاكثرين من الناس .

من خسر اذن ، ومن كسب ؟ من ستفنى ذكراه في تاريخ الفن والادب ؟ ام من ستبقى سيرته شعلة مضيئة للحياة ، حتى وان ضحى بذاته في انتحار بطيء، وبوعي تام ، فهو يؤدي دوره المختار ، والمقدور ؟!

شركة خياط للكتب والنشر (ش م ل)

٩٢ ـ ٩٤ شارع بلس ـ ص.ب ٦٠٩١
بيروت ـ لبنان ـ تلفون ٣٤٤٩٩٨

يسرها ان تقدم

الموسوعتين الكبيرتين

موسوعة الشعر العربي

الشعر العربي في شتى عصوره ومناطقه منذ العهد الجاهلي حتى عهد النهضة العربية الحديثة .

٢١٥ شاعرا من العصر الجاهلي
٩٠ شاعرا من العصر المخضرم
٢٤٥ شاعرا من العصر الاموي
٥٢٤ شاعرا من العصر العباسي
٢٧٠ شاعرا من العصر الاندلسي
٤٣٠ شاعرا من عصور الانحطاط
٢٩٢ شاعرا من عصر النهضة العربية
شعراء عديدون من العصر الحديث

دراسات قيمة عن كل شاعر ، حياته ، بيئته، شعره، عرض مشوق لافكار الشاعر واغراضه ومقاصده .

في ٣٢ مجلدا ضخما تضم الشعر العربي قديمه وحديثه ، كل مجلد يقع في ٦٥٠ صفحة من القطع المتوسط .

ديوان الشعر العربي كله بين يديك في مجموعة واحدة تصدر اجزاؤها تباعا .

●

موسوعة الفن العربي

... الفن والتزيين وهندسة الماضي المعمارية في ٢٠٠ لوحة اكثر من نصفها بالالوان ، تضمها ثلاثة مجلدات كبيرة ، اصدرتها مكتبة خياط للكتب والنشر في بيروت وباريس ، وهي اجمل هدية عن الفن الاسلامي ، من تصوير وتصميم « بريس دافين » الذي كان قد درس طوال اعوام مظاهر الفن العربي ، ليخرج هذه الموسوعة عن اجمل آثار العالم الاسلامي.

تحفة رائعة تزين مكتبة بيتك او مكتبك ، وتصور ادق ما توصل اليه الرسامون والمزخرفون والنقاشون الاسلاميون والعرب في العصور الماضية .

●

اطلب الموسوعتين من شركة خياط للكتب والنشر ، شارع بلس بيروت ، او من فرعها في باريس :

Les Editions KHAYAT 25, Rue Berne
75008 PARIS Tél : 293 - 68 - 33